وقفات مع قوله تعالى

# ﴿فَإِلَٰهُكُم إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾

من دروس حملة الحج لعام ١٤٣٩

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزّوجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

## بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا مُباركًا أن جعلنا من أهل هذا الموسم العظيم، وأن تمّمه علينا وعلى المسلمين، اللّهمّ يسّر ما بقي واقبل منّا ضعيف العمل، لا نبلغ يا ربّنا شكرك فنشكرك، ما لنا إلّا ضعيف العمل نقدّمه وأنت تتفضّل علينا بالقبول، وأنت الغفور الشّكور، فالحمد لله ربّ العالمين.

أسأل الله -عزّ وجلّ- أن يتمّم على الحجّاج حجّهم ويوصلهم إلى ديارهم سالمين، ويكونوا قد خرجوا من هذا الحجّ مخبتين؛ فقد ورد في **سورة الحجّ** -الّتي فيها أسرارًا عظيمة تنفع الحجّاج وتنفع المقيمين، وتنفع المسلمين في حياتهم عمومًا، وتنفع الحجّاج خصوصًا-

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾[1] فهذا التّوحيد الّذي يجمع الأوّلين والآخرين، هذا التّوحيد الّذي هو لبّ الدّين وعموده، هذا التّوحيد الّذي أقبل به المُلَبُّون، وخرج به المكبّرون، المهلّلون، هذا التّوحيد الّذي هو المقصد العظيم من كلّ العبادات والطّاعات، أن يقول العبد في قلبه: (أنا واحد في الأرض لواحد

(١) الحج: ٣٤.

في السّماء، راضٍ به ربًّا، وراضٍ بدينه، وراضٍ برسوله -صلّى الله عليه وسلّم-).

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ الّذي يجب أن تحبّوه، وتعظّموه، وتُقبلوا عليه، وترجوه، وتسألوه، ولا تلتفتوا عنه أبدًا؛ هو إلهكم الّذي في السّماء، كامل الصّفات، العظيم، الكريم، الرّحيم، ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾[1]؛ إلهكم الّذي تحبّونه هو الملك العظيم، الّذي بيده كلّ شيء؛ فمن تسألون غيره؟ ومن ترجون غيره؟ ومن تطلبون غيره؟ وعلى من تتوكّلون؟ من الّذي تسألونه أن يفرّج الكرب غيره؟ هو الملك الّذي بيده مقاليد السّماوات والأرض، كلّ مطلب لك أيّها الحاجّ، أيّها الدّاعي، أيّها الإنسان، كلّ مطلب لك؛ مُلْكٌ لله، بيده -سبحانه وتعالى- مفاتيح الفرج، هو الّذي يُنادَى، وهو الّذي يُسأل، وأيّ إنسان عاقل لا يسأل سُؤله إلّا من يملكه، لا يوجد إنسان فقير يحتاج إلى قليل أو كثير، ويذهب يسأل فقيرًا مثله؛ إنّما الفقير يسأل الغنيّ، والله هو الغنيّ الحميد سبحانه وتعالى.

إلهكم هو الملك -سبحانه وتعالى- ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ المنزّه عن كلّ نقص وعيب، ويختبر خلقه هل هم مؤمنون بأنّه كامل، سالم من كلّ عيب وآفة؟ أو يظنّون به غير ظنّ الحقّ؟ ولذا فإنّ الله -عزّ وجلّ- في فُصّلت، يقول لأهل الكفر: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ

(١) الحشر: ٢٣.

أَرْدَاكُمْ﴾[1] **معناه:** أنّ الله الملك القدّوس السّالم من كلّ عيب ونقص وآفة يختبر خلقه: هل يظنّون به ظنّ الحقّ؟ هل يحسنون به الظنّ؟ هل يمتلؤون طمأنينة له؟ ويكون حسن ظنّهم دليله كثرة إقبالهم عليه، وإلحاحهم في الدّعاء، وطلب رضاه؛ وكلّما زاد الإلحاح كلّما ظهر حسن ظنّ العبد في الله، وكلّما تمنّى الإنسان لقاء الله وهو راضٍ عنه كلّما ظهر صدق الإنسان.

إلهكم الّذي تحبّونه وتعظّمونه، الملك الّذي يملك كلّ شيء، القدّوس المنزّه عن كلّ نقص وعيب، السّلام الّذي كماله سالم من النّقص. فإذَا عرفت أنّ الله **مثلًا:** حيّ قيّوم ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[2] **يعني:** حياته وقيّوميّته منفيّ عنها، مُقدّس فيها عن السّنة والنّوم؛ فمتى ما سألته فهو حيّ قيّوم، في نهارك، في ليلك، في جوف ليلك، في أوّل اللّيل، في آخر اللّيل، في أوّل النّهار، في أيّ وقت هو حيّ قيّوم، فهو مقدّس ومنزّه عن السّنة والنّوم.

يأتي مَن ظلمك، يتجبّر، يتكبّر، يعلو، وأنت تعلم أنّ ربّك قدّوس لا يظلم أحدًا؛ هذا العبد يمكر بك والله الملك ينظر إليه، ويحميك، ويمكر لك، لكن جعل لكلّ شيء قدرًا، فأنت مهما ظهرت لك ظواهر أنّ الأمر على عكس ما تريد؛ لابدّ أن تقدّس ربّك وتنزّهه. ألم يقل لنا ربّنا: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3]؟ لا يأتي الشّيطان ويقول لك: (ها أنت

---

(١) فصلت: ٢٣.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) غافر: ٦٠.

دعوت وما استُجيب لك)! لا تظنّ بالله الباطل! لا تظنّ بالله ظنّ الجاهليّة! لابدّ أن يكون قلبك مليء، مليء، بتقديس الملك، وبتعظيمه، وبحسن الظّنّ به؛ ولتعلم أنّ كلّ صفة كمال لله سالمة من النّقص، فهو السّلام الّذي سلم كماله من النّقص سبحانه وتعالى؛ فكرمه -سبحانه وتعالى- فاض على كلّ الخلق، فهو لا يكرم خلقًا ويدع خلقًا؛ فاض على كلّ الخلق، فكيف بمن سأله؟ هو المنّان الّذي يعطي النّوال قبل السّؤال؛ يعطيك قبل أن تسأله فكيف إذَا سألته؟ لكن أحسن الظّنّ به، أحسن الظّنّ به، أحسن الظّنّ به.

﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ المؤمن -سبحانه وتعالى- الّذي لا يُخلف وعده، فكلّ شيء وعدنا إيّاه ربّ العالمين سيكون، وسيكون أعظم ممّا نتصوّر؛ فربّ العالمين قال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1].

وكلّ مرّة تزداد أنت شكرًا؛ يزيدك من الإيمان، والتّقوى، وراحة البال، والشّفاء من أمراض البدن، وأمراض القلب، ويعيذك من الشّيطان الرّجيم، ويدفع عنك أهل السّوء وأهل الباطل.

مؤمن سبحانه وتعالى، مُؤَمِّن عباده من كلّ شرّ في دنياهم وأخراهم، ملك، مؤمن، سلام، مهيمن، كلّ شيء بيده -سبحانه وتعالى- فكيف لا يكون التّعظيم له؟!

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ يا أهل الإسلام له أسلموا، سلّموا أفئدتكم، وأبدانكم، ومسلككم له، والحمد لله الّذي جعل ديننا دين

---

(١) إبراهيم: ٧.

الإسلام، والحمد لله على يسره، وسهولته، الحمد لله الّذي جعل هذه الأيّام سببًا لأن يخرج الإنسان من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، الحمد لله الّذي يسّر علينا المناسك وسهّلها. أسأل الله -عزّ وجلّ-أن يعيدنا إلى ديارنا وقد ابيضّت صحائفنا، وامتلأت قلوبنا إيمانًا، ودُفع عنّا الشّيطان وأولياؤه، اللهمّ آمين.

فلمّا قال لنا ربّ العالمين في **سورة الحجّ**: ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ ما أطيبها من بشارة!

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ هذا هو الاسم اللائق، والصّفة اللائقة، بمن حجّ حجًّا مبرورًا: أن يكون "**مُخْبِتًا**"؛ والإخبات هذا أتى من الخَبْتِ. والخَبْتُ، **هي**: الأرض المنخفضة **ومعنى ذلك**: أنّ المخبتين عكس المتكبّرين؛ والمخبتون هؤلاء منكسرون، متذلّلون لربّ العالمين، يبحثون عن مواطن رضاه: (أين رضاك دلّني! أين رضاك دلّني! أين رضاك أعنّي! أعنّي! دلّني! وفّقني! ارزقني!).

فهذا المخبت منكسر ذليل لربّ العالمين، مستسلم لأوامره متواضع لعباده، على خلاف، يعني: عكس المتكبّرين الّذين يأتون يوم القيامة يصبحون كأمثال الذّرّ تطؤهم النّاس بأقدامهم، ومعنى ذلك: أنّ أولياء الله متواضعون، منكسرون، لربّ العالمين، **في مقابل**: أنّ أعداء الله متكبّرون على الله، وعلى خلق الله.

فالإخبات هو التّواضع، والخشوع، **يعني**: يصير مثل الخَبْتِ من الأرض، **بمعنى**: أنّه يكون متواضعًا لله طالبًا لرضاه، يعامل النّاس ينظر

لهم على أساس أنّهم وسيلة للوصول إلى رضا الله؛ ومن ثَمَّ لا يَظلمون، وإذَا ظُلموا لا ينتقمون؛ ولذلك وصفهم الله بعد ذلك بالأوصاف الجميلة الّتي سنعدّدها الآن، لكن دعونا نبقى مركّزين: الاسم الجميل للعائد من الحجّ، والسّائر إلى ربّه، **هو:** أن يكون مخبتًا. **فصفته معناها:** أن يكون منكسرًا، ذليلًا.

ويأتي لأمراضه: إن كان **مثلًا:** سريع الغضب، سيّء الظّنّ في الخلق، إذَا كان في قلبه غلّ وحقد؛ يأتي لهذه الأمراض ويعالجها.

**فتأتي أوّل صفة من صفاته** وصفهم الله بعد ذلك: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾، ولا تنسوا: ﴿وَبَشِّرِ﴾، بشّر، **يعني:** جاءك الخير الكثير، أبشر، أبشر، أبشر أيّها المخبت، أبشر بخيرَيّ الدّنيا والآخرة، أبشر ولا تحمل همًّا، كلّ شيء يسيرًا وسهلًا وربّنا سييسّره، ما دمت أنت مخبت أبشر، أبشر بالخير العظيم، أبشر كلّ همّ سيفرج، وكلّ مشكلة ستحلّ.

أسأل الله -عزّ وجلّ-أن يفرّج عن جميع المسلمين، أن يفرّج هموم المهمومين، وأن يرفع الظّلم عن المظلومين، ويحفظ المسلمين من الذّنوب والمعاصي، ومن الهَلَكَةِ بسبب الشّيطان الرّجيم، الله يحفظنا جميعًا.

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ ما هو وصفهم؟ ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي أن هؤلاء متواضعون لله، معظّمون لله؛ يعرفون مَن هو الله: يعرفون كماله، وجلاله، وعظمته، وكبرياءه، فأوّل ما أحد يذكّرهم بالله، يتذكّرون. والإنسان من طبعه أنّه يغفل فيحمل همّ هذا، وهذا،

وهذا، يحمل همّ كيف يصل إلى مكّة، ويحمل همّ الطّواف، ويحمل همّ وصوله إلى بلده؛ باقي همّامًا، فالإنسان كما ذكر النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- حارث همّام[1]، لكن هو الآن يحمل همّ كيف يصل إلى مكّة؟ فتقول له: (توكّل على الله! الله يوسّع لنا!) فما أن يُذكَر الله له، ويُذكَّر به، إلّا وتجد قلبه يرجف، فتدخل إليه الطّمأنينة، ويدخل في قلبه الاستغراب أنّه كيف غفلت عن الله؟! فتجد القلب يقع فيه الوَجَلُ، الخوف الّذي يجرّه إلى الطّمأنينة، الخوف الّذي يجرّه إلى الاكتفاء بربّ العالمين.

﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ فهذا الوجل يأتي بالطّمأنينة بعدها؛ ولذلك في وصفهم؛ **الله -عزّ وجلّ-أخبر:** أنّهم حين يستمعون إلى القرآن تحصل لأبدانهم القشعريرة، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾[2]؛ وهكذا فإنّ هؤلاء إذَا ذُكر الله وجلت قلوبهم، ثمّ اطمأنّت.

**الصّفة الثّانية لهم:** ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾، **ومعنى ذلك:** أنّهم يعلمون أنّ الحياة قاعة اختبار، وأنّ الأقدار هي ورقة الاختبار؛ فكلّ الأقدار الّتي تجري عليهم، أتت مباشرة، أو تسلّط عليهم أحد، سيعلمون أنّ الله -عزّ وجلّ-يحبّ الصّبر عليه، وهذا أكثر شيء نجده في

---

(١) صححه الألباني متن الحديث: ((عَنِ الْحَسَنِ بْنِ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَسْمَاءِ بِيَزِيدَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَزِيدُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالْحَارِثِ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَحْرُثُ لِآخِرَتِهِ أَوْ دُنْيَاهُ ، وَهَمَّامٍ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَهْتَمُّ بِآخِرَتِهِ أَوْ دُنْيَاهُ . فَإِنْ أَخْطَأَكُمْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ فعَبِّدُوا)).

(٢) الزمر: ٢٣.

الحجّ مفقودًا! وأكثر شيئًا يجب أن يخرج به الحاجّ من الحجّ: أن يزداد صبره.

الدّنيا دار اختبار، فيها أمراض، وفيها محن، وفيها مصائب، وفيها تسلّط من الخلق على بعضهم، وفيها فقر، وفيها ضعف، لكن كلّها أزمات، الله -عزّ وجلّ- يختبر بها عباده، لكن لو تتذكّر في وقت الأزمة أنّ الله ينظر إلى قلبك؛ ستحبس نفسك على طاعة الله، ستقف عند ما أمرك الله، ستلجأ إلى الله، سترضى عن الله، ستطلب من الله الفرج: وتكون نجحت في الاختبار «فمَن رَضي فله الرِّضَى»[1]؛ ستسخط وما ترضى وتبقى بعيدًا عن باب الله، لا سائلًا الله، ولا راجيًا الله، تقول: (دعوت ولم يُستجب لي)! «ومَن سخِط فله السَّخطُ».

فلذَا درس الحجّ يخرج منه العبد كلّما ذكر الله وجِل قلبه؛ لأنّه جاء ممتلئًا معرفةً بالله.

ودرس الحجّ يخرج منه بزيادة الصّبر، راضيًا بالله.

والصّبر مثلًا: على ظلم الظّالمين، أو على عدوان المعتدين، لا يُقصد به أنّك أنت ما تُدافع، ولا تأخذ بالأسباب، لكن خُذ بالأسباب ودافع، لكن وأنت متوكّل على الله، معتمد على الله. إن كان لك قضيّة لا تعتمد على المحامي؛ اعتمد على الله، واسأل الله. وإن كنت مريضًا لا تعتمد على الطّبيب؛ خذه سببًا واعتمد على الله. وإن كان ابنًا عاقًّا شاردًا، لا

(١) حسّنه الألباني.

تعتمد على نفسك أو على النّاس؛ اعتمد على الله. فيبقى في كلّ الأحوال العبد معتمدًا على الله، صابرًا، راضيًا بما قسم الله، لا يأتي يقول: (لماذا أنا الّذي يحصل لي هكذا؟! لماذا يتسلّطون عليّ أنا؟!) هذا ابتلاء، والله يرفع الابتلاء، وهذه أيّام مباركة يدعو فيها الإنسان ربّ العالمين أن يرفع عنه الابتلاء، فيأتي البلاء على الإنسان، فيقابله الإنسان بالصّبر عليه، الّذي يتضمّن الرّضا عن الله، ويتضمّن الابتهال إلى الله، وسؤال الله، والانكسار بين يديّ الله، والتّعلّق بالله؛ وهذا كلّه سيظهر في إقامة الصّلاة.

ولذلك الله -عزّ وجلّ-قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾.

وتأتي الصّفة الرّابعة: ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾[1] فهذا مشغول، حتّى في مُصابِه مشغول!

ولذَا النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، القائد لهذه الأمّة، حامل الرّاية، الموصل العباد إلى الصّراط المستقيم. النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، كان يقول: «أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ»[2]، كان إذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، **يعني**: إذَا جاءه أمر عظيم، فزع إلى الصّلاة، فالصّبر على ما أصاب العبد عمل قلبيّ سيقابله عملان جارحيّان، **يعني**: عملان من الجوارح:

---

(١) الحج: ٣٤_٣٥.

(٢) حسّنه الألباني.

**العمل الأوّل:** أن يقيم الصّلاة، فينكسر، وينكسر، ويزداد طلبًا ورجاء، ويزداد مناجاة لربّ العالمين، ويزداد تعلّقًا به سبحانه وتعالى، ويزداد ثقة به سبحانه وتعالى، فتجد هذا قائمًا مستقيمًا في صلاته، تجد هذا فزعًا دائمًا إلى صلاته، راغبًا دائمًا فيما عند ربّه، فهو مؤدٍّ حقّ الله بقلبه وبدنه، أي أن الّذي سيقيم الصّلاة؛ أوّل إقامته للصّلاة ستكون أن يقيم قلبه بين يديّ الله، فيفهم كلّ كلمة يقولها في الصّلاة من التّكبير حتّى التّسليم، **وهذا معناه:** أنّه سيجمع قلبه على الصّلاة، فإذا أصابه المصاب لا تجد منه إلّا التّعلّق بالله، وهذا حاله ليس فقط في وقت المصاب؛ إنّما هو في الرّخاء عابد، مقيم للصّلاة، معتنٍ بطاعة الله، ولذلك **هو:** مخبت. **إذًا:** هؤلاء مقيمي الصّلاة.

**وتأتي الصّفة الّتي بعدها:** بأنّه ينفق ممّا رزقه الله، فمعنى ذلك أنّ الإخبات سيكون صاحبه قائمًا بطاعة الله، من الصّلاة وممّا رزقه الله ينفق، **وهذا معناه:** أنّه يعالج شُحَّ قلبه، وطمعه في الدّنيا، ويتقرّب إلى الله -عزّ وجلّ- بالنّفقات. على كلّ حال، هذا معنى عظيم يحتاج إلى كثير من التّكرار.

**المهمّ أن نفهم الآن:** أنّ وصفنا الّذي نريد أن نخرج به من الحجّ، ونختم به حجّنا، ونستبشر به: أن تكون قلوبنا انكسرت لربّ العالمين، وذهب عنّا ما ابتلينا به من كبر، وأصبحنا متواضعين لله ولخلقه، فنكون من المخبتين الّذين قيل في حقّهم: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ

إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾. أسأل الله -عزّ وجلّ-أن يجعلنا من هؤلاء.

ومن مواقف الإخبات العظيمة الّتي نعيشها -إن شاء الله- اليوم، **هو:** ما سيكون من الإفاضة لكثير منّا، وأيضًا من الوداع لكثير منّا. وسنفكّر في الطّواف، وبعد ذلك نتكلّم عن النّسك بين الإفاضة والوداع:

الطّواف هذا عمل خُصّ به هذا البيت؛ فإنّ الطّواف محرّم على النّاس في غير هذا البيت العظيم، وهي شعيرة لا تكون إلّا في هذا البيت العظيم؛ خُصّ بها هذا البيت العظيم، وحُرّم على أيّ مكان آخر.

كثيرون يتعجبون: هل هناك مكان آخر يمكن أن يطوف النّاس فيه؟

نعم، مع البدع والخرافات! ووضع الأمور في غير موضعها؛ طاف النّاس حول قبور الميّتين! وطافوا في زمن سابق حول قبر النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-! اللّهمّ احفظ التّوحيد، وارفع بلد التّوحيد، واجعلنا من أهل التّوحيد، ودافع عن التّوحيد، واجعلنا أنصارًا للتّوحيد، اللهمّ اقبل منّا نُصرتنا لدينك، واجعلنا أنصارًا صادقين في نُصرة التّوحيد، اللهمّ احفظ التّوحيد وأهل التّوحيد، وأرض التّوحيد، وكلّ من ينصُر التّوحيد، واجعلنا بمنّك وكرمك من أهل نُصرة التّوحيد.

على كلّ حال؛ فإنّ هذه المسألة الّتي هي مسألة الشّرك؛ هي السّبب المطلق الّذي لا يشاركه سبب في تخلّف العالم الإسلامي، وفي كونه في ذيل الأمم! فانتشار الشّرك في ديار المسلمين، سبب عظيم لتخلّفهم،

والحلّ يبدأ من هنا؛ فإنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد حارب من أجل التّوحيد، وخرج من مكّة طريدًا شريدًا -صلّى الله عليه وسلّم-، خائفًا هو وصاحبه -صلّى الله عليه وسلّم-، في هذه الأرض الّتي أنت فيها! خرج -صلّى الله عليه وسلّم- خائفًا طريدًا شريدًا، ثمّ نصر التّوحيد فعاد إليها في العام العاشر حاجًّا، ومعه مائة ألف إنسان! كيف يكون هذا الأمر إلّا بأمر ربّ العالمين.

فهذا الحجّ العظيم يتضمّن الطّواف، الّذي هو ركنه العظيم؛ الإفاضة ركن عظيم جدّا، جدّا، جدّا، في الحجّ. **يعني:** حين يُقدم الإنسان على الطّواف، الّذي هو طواف القدوم، أو العمرة؛ يكون قد قدم ولم يلقَ الملك بَعْدُ في عرفة، لكن الآن سيعود إلى الإفاضة وقد ذاق مناجاة الله في عرفة، وبقي ذاكرًا ومكبّرًا، فإذَا أفاض ودخل إلى الطّواف كان قلبه مليئًا بذكر الله، فقد ناجاه في عرفة، وكبّر الله، واشتغل بالطّاعة، فيأتي الحرم بقلب غير الّذي أتى به في مطلع الحجّ، إن كان ممّن دخل الحرم قبل ذلك.

فيطوف وكلّ قدم يضعها يعتقد أنّه يُوضَع عنه وزرًا، وكلّ قدم يرفعها يعتقد أنّه يُرفع له منزلة؛ ولذلك لا تضجّ بالزّحام، وتحزن منه، وتضيق! ابحث عن أوسع مكان يمكن أن تطوف فيه، لكن أحضر قلبك، واعلم أنّك تُشابه الملائكة.

وقد ورد في بعض الآثار أنّ الملائكة تطوف في بيت في السّماء؛ مكانه فوق الكعبة. حتّى أنّه قيل: "إنّه لو خرّ هذا البيت الّذي في السّماء لوقع

على الكعبة". فأنت تشبه الملائكة الكرام، المسبّحين، المكبّرين، المعظّمين، الذّاكرين.

فهذا الرّكن العظيم، ركن الإفاضة لابدّ من العناية به، وطلب العون من الله؛ مثلما كان في قلوبكم حماس لعرفة، لابدّ أن تكون في قلوب المفيضين حماسة للإفاضة، ويكون في قلوبهم شعور أنّهم يؤدّون ركنًا عظيمًا من أركان الحجّ، ويطلبون من ربّ العالمين أن يعطيهم الحول والقوّة للقيام بذلك.

**وليُعلم:** أنّ القوم الّذين ما طافوا طواف الإفاضة، وسينزلون الآن إلى طواف الإفاضة ومن ثَمَّ يذهبون إلى ديارهم؛ **النّيّة ستكون:** طواف الإفاضة، والوداع سيكون تبعًا، **يعني:** هو واقع؛ لأنّ المطلوب منك أن يكون آخر عهدك بالبيت، فأنت قد أوقعت أنّ آخر عهدك في البيت. فتركيزنا الآن، على أنّ هذا طواف الإفاضة.

وهذا الكلام طبعًا بالنّسبة للنّاس الّذين ما طافوا بالبيت بعد عرفة، **يعني:** أنّ طواف الإفاضة ما يقع إلّا بعد العودة من عرفة ومزدلفة، فالّذي منكم لم يطف بعدما رجع من عرفة ومزدلفة سيكون طوافه هو طواف الإفاضة الّذي هو الرّكن، والوداع سيكون تابعًا له، **يعني:** النّيّة الّتي ستهتمّين بها **هي:** الإفاضة، **يعني:** تدخلين الحرم وأنت تنوين طواف الإفاضة؛ والنّيّة ما تُنطق، فتدخلين الحرم وأنت تطوفين طواف الإفاضة؛ والوداع: مجموع له، **بمعنى:**

**أنتم تصوّروا المسألة:** الآن الّذي يدخل المسجد في وقت غير الصّلاة، عليه أن يصلّي تحيّة المسجد، لكن لو دخل ووجد النّاس يصلّون؛ تحيّة المسجد تسقط، ويقف مع النّاس مصلّيًا، ولا يُقال له بعد الصّلاة: ارجع صلّ تحيّة المسجد لأنّه حصلت التّحيّة بالصّلاة، لكن هنا صلاة فريضة وليست نافلة.

**بالضّبط هكذا:** طواف الإفاضة والوداع، ما هو المطلوب منك؟ أنّك لابدّ أن تكون في البيت، في بيت الله، ومنه تخرج لدارك، هذا هو المقصود؛ فأنت الآن ما أفضت بعدُ، اذهبي أفيضي، طوفي طواف الإفاضة، وسيتحقّق بذلك أنّه آخر عهدك بالبيت.

**معنى ذلك:** ليس هناك نيّة تُنطق؛ إنّما تعتقدين أنّ هذا هو طواف الإفاضة، أو يُسمّى: طواف الزّيارة؛ **وهو:** الرّكن، والوداع حاصل معه.

**ودائمًا هنا يأتي سؤال:** طيّب، أنا عليّ سعي، سواء المتمتّع، فالمتمتّع أكيد عليه سعي، أو المفرد والقارن اللّذان لم يسعيا قبله، هل السّعي يقطع مسألة طواف الوداع مجموعًا إلى الإفاضة؟

**الجواب:** لا؛ وإنّما طوفي إفاضة، وسيكون آخر عهدك بالبيت، وتسعين، وتخرجين إلى دارك، **يعني:** تخرجين إلى قافلتك الّتي هي الحافلات، وتذهبين إلى ديارك.

هل ممكن بعد طواف الإفاضة المجموع إليه الوداع والسّعي، أو بعد طواف الوداع أخرج أتبضّع هدايا أو شيئًا لنفسي؟

**الجواب:** لا، ليس هناك شراء أو بيع، إلّا للحاجة الضّروريّة: تريدين قارورة ماء، تريدين أن تأكلي شيئًا، تريدين شيئًا ضروريًّا من الصّيدليّة الآن، الآن، ليس هناك حلّ إلّا الآن تقومين به، الضّرورة، الضّرورة.

فإذَا خرجت من مكّة من حدود الحرم، وبعد ذلك هناك محطّات بعد حدود الحرم؛ فإنّ المحطّات الّتي بعد حدود الحرم.

**مرّة أخرى:** الآن هذا طواف الإفاضة، جُمع إليه طواف الوداع؛ فإنّ النّيّة الأساسيّة هي: طواف الإفاضة؛ وأمّا الوداع يحصل تبعا. وعليك سعي، سعيت -الحمد لله- ليس هناك أيّ مشكلة. اخرجي من هذا الحرم العظيم إلى الحافلات واخرجي إلى دارك.

**حكم البيع والشّراء بعد الوداع:** إذَا كان البيع والشّراء من أجل التّبضّع والتّسوّق والهدايا؛ لا يصحّ. إذَا كان لشيء ضروري؟ قارورة ماء؟ لقمة تأكلينها لأنّك جائعة جدًّا؟ لابأس، للضّرورة.

إذَا مشى النّاس، وخرجت من حدود الحرم، **يعني:** من الشّميسي غالبًا، الّذي يخرجون من هنا ذاهبون إلى جدّة؛ سيذهبون على جهة الشّميسي. بعدها هناك محطّة، بمجرّد خروجك من حدود الحرم؛ يصحّ لك أن تأكلي، وتشربي، وتشتري للتّبضّع ما تريدين؛ يصحّ لك، بينما هنا في الحرم ستشتري للضّرورة، كلي واشربي مادامت أشيائك معك، لكن الكلام حول البيع والشّراء: اشتري الضّروري فقط، وغير ذلك حين تخرجين من حدود الحرم اشتري ما تريدين.

الآن الجماعة الّذين عليهم طوف الوداع، ستكون نيّتهم واضحة، سيطوفون للوداع من أجل أن يكون آخر عهدهم بالبيت، فيخرجون إلى ديارهم من البيت. طيّب، الآن أنت ما عليك إلّا طواف، والحافلة الّتي أنت فيها، فيه طواف وسعي، فسيبقون وقتًا أطول منك، وجلست في الحرم تقرئين القرآن؛ لا بأس، لازال آخر عهدك بالبيت، فليس المقصود أنّه مجرّد ما تطوفين تخرجين من البيت! لا؛ **وإنّما المقصود:** آخر عهدك بهذه الدّيار **هو:** البيت. فلو صلّيت مثلا: المغرب، والعشاء، توكّلي على الله -إن شاء الله- ليس هناك بأس في ذلك.

أسأل الله -عزّ وجلّ-أن يجعلنا من المقبولين جميعًا، وأن لا يكون هذا آخر عهدنا بهذه الدّيار، وأن يُحسن لنا الخواتيم في كلّ شأن، وأن يجعل ملائكة الرّحمة هي الّتي تقبضنا، ويجعل أُنسنا في قبرنا بذكره وشكره والأعمال الصّالحة والقرآن، ويجعلنا ممّن لا يحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقّاهم الملائكة، ويجعلنا ممّن مرّ على الصّراط أسرع من البرق، ودخل الجنّات فارتفع في الدّرجات، غُفر له ذنبه، وشُكر على عمله، اللّهمّ آمين.

استودعتكم الله جميعًا في حفظه ورعايته، أسأل الله -عزّ وجلّ-أن تعودوا إلى دياركم سالمين، قد فزتم بمغفرته، وبُلّغتم أمانيكم، ففُرّجت الكروب، وقّضيت الحاجات، ورُفع عن المظلومين الظّلم، وحقّق لأصحاب الآمال الآمال، وهو كريم، واسع، جواد، منّان، الطّمع كلّه فيه سبحانه وتعالى، اللّهمّ آمين.